جامعة قطر
QATAR UNIVERSITY

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

College of Sharia & Islamic Studies

مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

Journal of College of Sharia & Islamic Studies

نصف سنوية – علمية محكمة

Academic Refereed – Semi-Annual

ISSN 5545 – 2305

المجلد ٣٥–العدد ١ – ربيع ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧ م

Vol. 35– No.1, 2017 A / 1438 H

تكوين العقل العربيّ لغويًّا: عرض ومناقشة لأفكار الدكتور محمد عابد الجابريّ

د. إياد محمد علي الأرناؤوطي

استاذ مساعد كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الانسانية

جامعة بغداد – العراق

The Composition of the Arab Mind Linguistically: Presentation and Discussion of the Ideas of Dr. Muhammad Abid Al-Jabiri

By: Dr. Iyad Mohammed Al- Arnaouti

Assistant Professor College of Education (Ibn Rushd) of Humanities Baghdad University, Iraq

Email: eyad_1961@yahoo.com

ملخص:

هذا البحث الموسوم بـ (تكوين العقل العربيّ لغويًّا) يتناول بالعرض والمناقشة أفكار الدكتور محمد عابد الجابريّ التي طرحها في كتابه (تكوين العقل العربي). والكتاب جزء من مشروع يتألف من ثلاثة كتب ألفها المؤلف مكونة رؤيته لإحداث تغيير جذري في بنية الإنسان العربي المعرفية. يرى الجابري أن اللغة العربية التي تم جمعها من الأعراب، والتي تصنع العقل العربي المعاصر، تقف اليوم حاجزا دون انطلاقته. والإنسان العربي يعيش محنة التفكير بلغة، والتكلم بأخرى وهي العاميّة. وأورد مؤاخذات كثيرة سجّلها على عملية جمع اللغة العربية، وتقنين قواعدها؛ وقد عرضت في هذا البحث هذه المؤاخذات، وناقشتها.

الكلمات المفتاحية: العقل العربي، المعرفي، محمد عابد الجابري، اللغة العامية، الأعراب.

Abstract:

This research "The Composition of the Arab Mind Linguistically" reveals and discusses Dr. Muhammad Abid Al- Jabiri's ideas that he raised in his book "The Formation of the Arab Mind". The book is a part of a project consisting of three parts written by the author. These books shape his vision to have a radical change in the cognitive Arab man's structure. The writer thinks that the Arabic language which shapes the modern Arab mentality and which had been gathered by al-A'rab (Nomads or Bedouins), stands as an obstacle curbing him .The Arab man lives the dilemma of thinking in one language and speaking in another language; the slang language. He mentioned many defects he noticed regarding the process of gathering the Arabic Language and the customization of its rules .Thus, these defects have been reviewed and discussed.

Keywords: Arab Mind, cognitive, Muhammad Abid Al- Jabiri, slang language, bedouins.

مقدّمة

يتناول البحث بالمناقشة ما عرضه الدكتور محمد عابد الجابري من أفكار تتعلق باللغة العربية في كتابه (تكوين العقل العربي).

يبدأ المؤلّف تقديم كتابه[١] بقوله: "يتناول هذا الكتاب موضوعًا كان يجب أن ينطلق القول فيه منذ مائة[٢] سنة. إنّ نقد العقل جزء أساسيّ، وأوّليّ،[٣] من كل مشروع للنهضة؛ ولكنّ نهضتنا العربيّة الحديثة جرت فيها الأمور على غير هذا المجرى، ولعل ذلك من أهم عوامل تعثّرها إلى الآن. وهل يمكن بناء نهضة بعقل غير ناهض؟، عقل لم يقم بمراجعة شاملة لآليّاته، ومفاهيمه، وتصوّراته، ورؤاه؟"[٤].

فالمؤلّف، إذن، صاحب مشروع نهضة عربيّة، يقوم بمراجعة شاملة لآليّات العقل العربيّ، ومفاهيمه، وتصوراته، ورؤاه، ويستأنف النظر في معطيات الثقافة العربيّة الإسلاميّة، غير متقيّد بوجهات النظر السائدة.

وفي الفصل الرابع من الكتاب، الّذي وسمه المؤلّف بـ (الأعرابيّ صانع " العالم " العربيّ) أعطى المؤلّف اللغة العربيّة أولويّة في دراسة مكونات العقل العربيّ. ولأنّ موضوع بحثنا هو اللغة لا غير، فسأتناول بشيء من التفصيل آراءه اللغوية فقرة بعد فقرة.

(١) في هذا البحث، أعني بالمؤلف: الدكتور محمد عابد الجابريّ، وبالكتاب: تكوين العقل العربيّ، لمحمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، دار الطليعة ـ بيروت، ط١٠ ، ٢٠٠٩م.

(٢) الصواب: مئة

(٣) الصواب: أساس وأول

(٤) الكتاب: التقديم: ٥(مرجع سابق)

ومقتضى المنهجية العلمية أن يتألف البحث بعد المقدمة من تمهيد في علاقة اللغة بالفكر، ومبحثين، يتناول

تمهيد: اللغة والفكر: ذكرنا أن المؤلّف وسم الفصل الرابع من الكتاب، بـ (الأعرابيّ صانع " العالم " العربيّ)، مشيرا إلى أن الأعرابي صانع اللغة العربيّة، واللغة صانعة الفكر، فالأعرابي إذن صانع العالم العربيّ، من خلال صناعته اللاشعور العربي، الذي به ينظر العربي اليوم إلى الكون، والحياة، والمجتمع. وصرّح المؤلّف قائلا: "فاللغة لا تعكس الظروف الطبيعيّة وحسب[1]، بل تحمل معها هذا الانعكاس نفسه، لتنشره على أمكنة، وأزمنة، مختلفة؛ فتكون بذلك عاملًا أساسيًّا، وأحيانًا حاسمًا، في تحديد، وتأطير نظرة أصحابها إلى الأشياء[2]"[3].

وهذا كلام فيه نظر، وإن كان الكلام على علاقة اللغة بالفكر أقرب إلى البحث الفلسفيّ منه إلى البحث اللغويّ، إذ يستثير فينا سؤالًا: إذا كانت اللغة هي التي تصنع الفكر، فمن صنعها أمسِ؟ ومن يطوّرها اليوم، وغدًا؟ وإذا كان الجواب عن السؤال الأوّل عن نشأة اللغة الإنسانيّة، قد أُقصي من ساحة الدرس اللغويّ الحديث، فإنّ السؤال الثاني يبقى قائمًا.

عنيت المدرسة التّوليديّة التّحويليّة المعاصرة بوصف استعمال اللغة، فقد ميّز تشومسكي بين (القدرة) أو (الكفاية اللّغويّة)، و(الأداء الكلاميّ)، إذ لحظ أنّ اللّغة تحتوي على عدد محدود من الأصوات (الفونيمات)، وعدد محدود من القواعد، يتمكّن المتكلّم بوساطتها من صياغة عدد غير محدود من الجمل. فنظام القواعد في اللّغة يجسّد "قدرة المرء على الاستعمال غير المحدود

(١) الصواب: حذف الواو

(٢) الصواب: في تحديد، نظرة أصحابها إلى الأشياء، وتأطيرها

(٣) الكتاب:٧٨ (مرجع سابق)

لوسائل محدودة"[١]. هذا الاستعمال غير المحدود يفتح أمام الفكر البشريّ آفاقًا غير محدودة، تلبّي حاجته إلى التعبير عن مكنوناته؛ ومن هذا السبيل تتطوّر اللغة، بتطوّر الفكر، كما تضمحّل باضمحلاله، ولو احتفظت بمفرداتها وقواعدها، فضلا عن أن الازدهار الحضاريّ يولّد مفردات جديدة، ويمنح المفردات القديمة معاني جديدة؛ ويصنع التخلّف عكس ذلك. وتاريخ العربية شاهد على ذلك في عصر الازدهار، وفي عصر التخلّف.

ومن شواهد المؤلّف على فقر العربيّة في التعبير عن العالم غير الصحراويّ، قوله:"لا يتوفّر العربيّ ـ فيما نعلم ـ إلّا على كلمة واحدة تخصّ عالم الثلج، هي كلمة (الثلج)"[٢]. وبقليل من التذكّر قفزت في ذهني مفردتان أخريان للتعبير عن الثلج: الجليد، والصقيع، وتأكّدت من ذلك بمراجعة المعجم[٣].

(١) البنى النّحويّة، لنوم تشومسكي، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٨٧، (مقدّمة المترجم)٥:.

(٢) الكتاب: ٧٨ (مرجع سابق)

(٣) ينظر: تاج العروس، للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق : علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ١٤١٤ – ١٩٩٤ : ٤/ ٣٩٥ (جلد)، و١١/٢٧٤(صقع).

المبحث الأول: في جمع اللغة العربيّة وتقنينها وتطورها

أولاً: في جمع اللغة العربيّة

أثنى المؤلّف على الجهد العربيّ في جمع اللغة، فقال:"إذا كانت الفلسفة هي معجزة اليونان، فإن علوم العربيّة هي معجزة العرب.... كل ذلك لا يمكن أن يوصف بأقل من إنشاء علم جديد هو علم اللغة العربيّة، بل إنشاء لغة جديدة هي اللغة العربيّة الفصحى"(١).

وفي قوله: "إنشاء لغة جديدة هي اللغة العربيّة الفصحى" نظر، فإن اللغة العربيّة الفصحى كانت موجودة قبل عصر التدوين. بها نزل القرآن الكريم، وهذا مما لا خلاف فيه، وبها نُظم الشعر الجاهليّ، وقد قال المؤلّف: "أما أن يكون عرب الجزيرة العربيّة يتوفّرون على ثقافة معيّنة، وبنية عقليّة خاصّة، تنتمي إلى هذه الثقافة، فهذا ما لا يمكن الشكّ فيه، إلا إذا أمكن الشكّ في وجودهم المادّيّ نفسه"(٢). وأردف المؤلّف معلّقًا على دعوى انتحال الشعر الجاهليّ التي أثارها الدكتور طه حسين من قبل، قائلًا: "بإمكان الوُضّاع أن يضعوا فعلا بعض الأشعار، وينسبوها إلى من تقدّمهم، ولكن من المستبعد تمامًا أن يتناول الوضع شخصيّات الماضي، وما يُنسَب إليها في آن واحد. وبعبارة أخرى: لكي تنسب أشعار لشعراء جاهليّين يجب أن يكون هناك بالفعل ليس فقط شعراء جاهليين(٣)، بل أيضا شعر جاهليّ يُنسج على منواله"(٤)؛ فبأيّ لغة كُتب هذا

(١) الكتاب: ٨٠ (مرجع سابق)

(٢) الكتاب: ٥٧ (مرجع سابق)

(٣) الصواب: ليس شعراء جاهليّين فقط

(٤) الكتاب: ٥٧ (مرجع سابق)

الشعر الجاهليّ الّذي يُنسج على منواله؟ أليس بالعربيّة الفصحى التي سبقت عصر الرسالة، في حين كان عصر التدوين منتصف القرن الثاني للهجرة؟ وبعد أن تابع الدكتور حسين نصار تطوّر المعجم العربيّ في عصوره المختلفة، قال: "فما أكثر المعجمات التي ليس لدينا في الوقت الحاضر منها غير العنوان، وإشارات غاية في الإيجاز، والمعجمات التي ليس لدينا منها إلا العنوان، واسم المؤلّف، والمعجمات التي لدينا اسم مؤلفها، وليس لدينا عنوانها، والمعجمات التي لم نصل إليها، ولا إلى عنوانها"(١). ومن غير المستبعد أن يكون بعض هذه المعجمات قد سبق عصر التدوين الشامل.

وأخذ المؤلّف على منهج جمع اللغة "صلابته التي حجّمت اللغة، وضيّقت فيها القدرة على مسايرة التطوّر والتجدّد"(٢)؛ وقال: " بالفعل كانت المعجزة العربيّة سيفا ذا حدين: فمن جهة جعلت من لغة كانت تقوم على مجرد السليقة، والطبع، لغة علميّة، مضبوطة، مقنّنة، ومن جهة أخرى جعلت من تلك اللغة نفسها عاجزة عن مواكبة التطوّر، وقبول ما لا بدّ منه من التغيّر والتجدّد"(٣).

وهذا كلام فيه نظر، ذلك أن ارتباط العربيّة بكتاب إلهيّ، هو قلب رسالة الإسلام، ومعجزته الكبرى المتجدّدة الخالدة على كرّ الليالي والأيام، هذا الارتباط جعل اللغويّين أمام أحد خيارين لا ثالث لهما: إمّا فتح باب التغيير في استعمال اللغة: مفردات، وقواعد، على مصراعيه، وهذا يعني ابتعاد الأمة من كتابها شيئًا فشيئًا، حتى يؤول الأمر بعد قرون إلى القطيعة التامّة بينهما، حتى يقتصر فهم النصّ القرآنيّ على المتخصّصين باللغة القديمة، كما يحصل اليوم لأدب شكسبير

(١) المعجم العربي، نشأته وتطوّره، للدكتور حسين نصار، دار مصر للطباعة، (د. ت):١/ ٧، مقدّمة المؤلّف

(٢) الكتاب:٨١ (مرجع سابق)

(٣) الكتاب:٨٢ (مرجع سابق)

الانكليزي، الّذي لم تمر ثلاثة قرون على إنشائه، وإمّا غلق باب اللحن، وإحكام عرى التواصل بين الأمّة، وقرآنها؛. وقداختار اللغويّون الخيار الثاني، وأصابوا. فإن قيل: ولماذا لم يتوسّطوا بين الأمرين في التقييد والإطلاق؟ قلنا: إنّ باب التغيير إذا ما فُتح لا يستطيع أحد التحكّم به، ولا سيّما أن الأمة واجهت انفتاحًا حضاريًّا على حضارات أخرى، وانفتاحا اجتماعيًّا على أعاجم لهم لغاتهم الموروثة، فلا سليقة عربيّة لهم، وإنما اكتسبوا العربيّة بالتعلّم غير المنظّم من خلال الاحتكاك بالعرب، وأداء الصلاة، وقراءة القرآن الكريم، ونظائرها. فإن قيل: وكيف تستجيب العربيّة لمستجدّات الظروف، ومتغيّرات الحياة والمجتمع؟ قلنا: إن العربيّة تمتلك من الثراء اللفظيّ ما يمكّنها من ذلك. أثبتت ذلك في الماضي، قال الدكتور تمّام حسّان:"لقد قدمت العربيّة في تاريخها، أوضح الأدلّة على قدرة في مجال بناء الحضارة الإسلاميّة، وعلى صلاحيتها أن[1] تقدّم من المصطلحات ما يجعلها قادرة على نقل التراث اليونانيّ، مع ما يتطلّبه هذا النقل من مرونة في الصياغة الصرفيّة، والصوتيّة للألفاظ الاصطلاحيّة المنقولة عن طريق الترجمة، أو التعريب"[2]. نعم، ألم تُترجم كتب الفلسفة والمنطق، والطبّ، والرياضيات، من اللغات الأخرى؟ ألا تكفي أبواب: التوليد، والاشتقاق، والمجاز، والتعريب، والاصطلاح، كلّ في فنّه، للاستجابة لضرورات الحياة الجديدة، ومستجدّاتها؟ ألم يكتب المؤلّف نفسه مؤلفاته بالعربيّة؟ .

إن المشكلة التي واجهناها في عصور انحطاطنا، ونواجهها اليوم في ما ندعوه بعصر نهضتنا، لا تكمن في لغتنا العربيّة، وإنما في تخلّفنا، وإحساسنا بالدونيّة، واستصغار أنفسنا أمام كلّ شيء غربيّ: فلسفة، وأدبًا، وعلمًا، بسبب منجزهم التكنولوجيّ. إنّ العلوم الحديثة تُدرّس في الجامعات الإيرانيّة باللغة الفارسيّة، وأين هي الفارسيّة من بحر العربيّة الزاخر؟

(١) الصواب: لأنْ، ولعله خطأ طباعيّ

(٢) الفكر اللغويّ الجديد، للدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠١١م:٦٨

أمّا قول المؤلّف: "قبول ما لا بدّ منه من التغيّر، والتجدّد"، فسأقف عنده في فقرة (تطوّر اللغة).

وفي مصادر جمع اللغة العربيّة، قال المؤلّف: "لقد اتّجه جامعو اللغة، ورواتها، إذن، إلى البادية، إلى الأعراب الأقحاح، وأصبح هؤلاء الأعراب الحفاة، العراة، مطلوبين بكل إلحاح.... لقد أدّى التهافت على الأعراب، والاعتماد عليهم كلّ الاعتماد في ضبط اللغة، وتقعيدها، أن أصبح العلماء يعتبرونهم[١] معصومين من الخطأ اللغويّ، ليس بسبب إيمانهم بذلك، بل من أجل أن لا ينسحب الخطأ إلى القواعد التي شيّدوها، انطلاقًا من نطقهم، وكلامهم"[٢].

أقول: على الرغم من إيماني العميق بتطرّق النقص، والخلل، إلى كل جهد بشريّ غير معصوم، ومنه جهد جمع العربيّة، إلا أنّ المتأمّل المنصف لا بدّ من أن يستفهم: إذا كانت الحواضر العربيّة قد فشا فيها اللحن بسبب مخالطة الأعاجم، والزواج منهم، فمن أين تطلب مفردات اللغة، إذا لم تطلب من البادية؟ وهل من خيار آخر يقترحه علينا المؤلّف، أو غيره؟ وهل يضرّ بعروبتهم، وفصاحة لغتهم، أن يكونوا حفاة، عراة؟ ألم تنزل معجزة الله تعالى الخالدة بلغتهم؟ وهل المنهج الوصفيّ الّذي تتبناه علوم اللغة المعاصرة غير ذلك؟

أما عدّ هؤلاء الأعراب معصومين من الخطأ اللغويّ، فإن الخيار الآخر لعالم اللغة أن يفرض مفرداته هو، وقواعده هو، على واقع اللغة، أو قل: صناعة لغة هي من بنات عقله، وهذا ما لا يرضاه المنهج العلمي، ولا المؤلّف نفسه. وتخطئتهم تستلزم مرجعًا للصحّة، فما هذا المرجع؟

(١) الصواب: يعدّونهم

(٢) الكتاب:٨٤ (مرجع سابق)

ثانيًا: طريقة الخليل في جمع اللغة

ذكر محقّقا كتاب العين للخليل، وهو أوّل معجم عربيّ، استوعب اللغة بكاملها بحسب الشائع في الدرس اللغويّ، أنّ الخليل فكّر، في صنع كتاب في اللغة، يحصر لغة العرب كلّها، لا تفلت منه كلمة، ولا يشذّ منها لفظ، فوضع لذلك خطّة أقامها على نظام رياضيّ دقيق. بنى الخطة على أساس من عدّة الأصول التي تتألّف منها الكلمة، ولم يعبأ بالزوائد. اهتدى الخليل إلى طريقة (التقليب) التي استطاع بها أن يعرف المستعمل من العربيّة والمهمل، فعقد الكتاب على المستعمل، وأهمل ما عداه. ولعلّنا نجد في المعجمات المطوّلة كـ (لسان العرب)، و(تاج العروس)، أشياء لا نجدها في العين، وذلك لأنّ المتأخّرين قد سجّلوا موادّ لم تكن معروفة بفصاحتها في عصر الخليل. وهذا يعنى أنّ معيار الفصاحة في خلال القرون: الثاني، والثالث، والرابع للهجرة، غيره في القرون المتأخّرة.[1]

قال المؤلّف: "إذا نظرنا إلى النتائج التي أسفر عنها المبدأ الّذي وضعه الخليل، والطريقة التي اتّبعها، وهما نفس المبدأ، ونفس الطريقة[2] اللذين[3] سار عليهما علماء اللغة من بعده، أو على الأقلّ صدروا عنهما في تصوّرهم للغة العربيّة، وجدنا أنفسنا أمام طريقة لصنع اللغة، وتحجيمها في قوالب ثابتة، لا أمام قواعد لجمع شتاتها، وتنظيم حياتها الداخليّة، مع الحفاظ لها على إمكانيّة التطوّر والتجدّد. وإذا تذكّرنا ما قلناه من قبل بصدد دور اللغة في تشكيل تصوّر

(١) ينظر: كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ – ١٧٥ هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة الطبعة: الثانية قم ـ ، ١٤٠٩ هـ:١/ ٨ ـ ٩

(٢) الصواب: المبدأ نفسه، والطريقة نفسها.

(٣) الصواب: اللذان

الإنسان للعالم، وبالتالي[١] في بناء عقله، وهيكلة فكره، أدركنا أيّة آثار سلبيّة كان لا بدّ أن[٢] تخلّفها في العقل العربيّ طريقة الخليل، واللغويين من بعده"[٣].

وهذا كلام فيه نظر، فماذا يصنع المعجمي غير أن يستقصي الاستعمالات الواقعيّة للكلمات؟ وهل صنع الخليل كلمات من عنده لم تستعملها العرب، وتناولها في معجمه؟ وكيف لا يكون بعمله العبقريّ الرائد قد جمع شتات اللغة في كتاب؟ وأيّة آثار سلبيّة لكتاب يضع أمام قارئه مفردات لغة موزّعة على الأصقاع المتباعدة، والأمصار المتعددة؟ كان الخليل يضع أمام عينيه كل الصور المحتملة لتركيب الحروف، بأسلوب رياضي محكم الدقّة، ويتناول المستعمل منها في لغة العرب، ويترك المهمل.

ويواصل المؤلّف ناقدًا الخليل: "وهذا المبدأ كان لا بدّ من أن يجعل اللغة من صنع الذهن بدل أن تكون نتيجة التعامل معها كمعطى واقعي[٤]. وفي هذه الحالة ستنقلب العمليّة من عمليّة جمع اللغة إلى عمليّة التماس سند واقعيّ لفرض نظريّ "[٥].

(١) وهذا الكلام فيه نظر طويل، بل هو مدعاة للتحيّر، فأيّة لغة صنعها ذهن الخليل، ولم تكن معطًى واقعيًّا؟ وأيّ فرض نظريّ لا سند له من الواقع جاء به؟

(١) الصواب: ومن ثَمّ

(٢) الصواب: من أن

(٣) الكتاب:٨٢ - ٨٣ (مرجع سابق)

(٤) الصواب: بدلًا من أن تكون نتيجة معاملتها معطًى واقعيًّا

(٥) كتاب الكتاب: ٨٣ (مرجع سابق)

ثالثًا: عصر الاحتجاج

قال المؤلّف: "وفي ميدان النحو تركّز الاهتمام، كما في ميدان اللغة، على القديم، فكلّما كان الكلام منسوبًا إلى فترة[١] أوغل في القدم، كان مقبولًا ومطلوبًا" واقتبس كلام للدكتور محمد عيد: "اعتبروا[٢] كلّ ما هو قديم يحمل علامة الجودة، أمّا الحديث المعاصر، فمحكوم عليه بالتزييف، والرفض، والإنكار"[٣]، وأردف المؤلّف مقتبسًا من الدكتور كمال محمد بشر: بل لقد ظلّوا ينظرون إلى "التطوّر الّذي أصاب العربيّة حينئذ كما لو كان ضربًا من الخطأ والانحراف، يجب طرحه، وإهماله، ومن ثم أوجبوا وقف الاستشهاد في مسائل النحو والصرف في منتصف القرن الثاني للهجرة"[٤]

وهذا كلام فيه نظر[٥]:

١ـ " إنّ عصور الاحتجاج، وتعيينها، مسألة تردّد فيها الكلام طويلًا منذ نشأة البحث اللغويّ عند العرب حتّى اليوم. على أنّ وجهة النّظر السّائدة هي أنّ العرب الّذين يوثق بعربيّتهم، ويُستشهَد بكلامهم، هم عرب الجاهليّة، وصدر الإسلام إلى أواخر القرن الثّاني في الأمصار،

(١) الصواب: حقبة

(٢) الصواب: عدّوا، وفي المصدر (اعتبر) ويبدو أنه خطأ مطبعي.

(٣) الرواية والاستشهاد باللغة، للدكتور محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م.: ١٥٩، وقد ضبطنا النص بحسب المصدر

(٤) دراسات في علم اللغة، ، القسم الثاني، للدكتور كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٧:١٢٨، وقد ضبطنا النص بحسب المصدر.

(٥) أعني: كلام المؤلف وما اقتبسه من كلام الدكتورين: محمد عيد، وكمال محمد بشر، لأن المؤلف قد تبنى كلامهما.

وإلى أواسط القرن الرّابع في الجزيرة العربيّة"[(١)]. والمرجع في ذلك هو التأثّر بمخالطة الأعاجم؛ ولم يوقفوا الاستشهاد في مسائل النحو، والصرف، في منتصف القرن الثاني للهجرة، كما أورد المؤلّف. أما مكانيّا، فيقول أبو زيد الأنصاريّ (ت ٢١٥هـ): "لست أقول: (قالت العرب) إلّا إذا سمعته من هؤلاء: بكر بن هوازن، وبني كلاب، وبني هلال، أو من عالية السّافلة، أو من سافلة العالية"[(٢)]، فاللغة تؤخذ، كما يقول السّيوطيّ (ت٩١١هـ)، ممّا ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيّتهم، وهم: قيس، وتميم، وأسد، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطّائيين، استنادًا إلى ما رواه الثّقات في أسانيدهم من المنثور والمنظوم، فيما أُقصيت من الحرم قبائل عربيّة معروفة لمخالطتها الأعاجم[(٣)].

٢ـ لا بدّ من مرجعيّة للتفريق بين التطوّر اللغويّ، واللحن، الّذي قام علم العربيّة لمواجهته بالدرجة الأولى، وإلا تداخلت الأمور، وضاعت الحقائق، فصار اللحن المذموم، تطوّرا محمودًا. وهذا ما سأقف عنده في الفقرة القادمة.

(١) الحديث النبويّ الشّريف وأثره في الدّراسات اللغويّة والنّحويّة، للدّكتور محمّد ضاري حمّادي، اللجنة الوطنيّة للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجريّ، الجمهوريّة العراقيّة، ط١، ١٩٨٢هـ: ٣٠١ ـ٣٠٢، وينظر: تأويل النص القرآني (دراسة نحوية بلاغية) (أطروحة دكتوراه)، لإياد محمد علي الأرناؤوطي: ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) النّوادر في اللغة لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت ٢١٥هـ)، تحقيق ودراسة: الدّكتور محمّد عبد القادر أحمد، دار الشروق، ط ١، ١٤٠١هـ.١٩٨١م: ٥، والمزهر ٥١/١، وينظر: وينظر: تأويل النص القرآني دراسة نحوية بلاغية (مرجع سابق):٢٧.

(٣) ينظر: الاقتراح في علم أصول النّحو، لجلال الدّين السّيوطيّ، تحقيق: د. أحمد محمّد قاسم، ط ١، مطبعة السّعادة، القاهرة، ١٣٧٦هـ. ١٩٧٦م: ٥٦، ٥٧، ٦٤، والمزهر في علوم اللغة وآدابها، لجلال الدّين السّيوطيّ (ت ٩١١هـ)، شرح وتعليق: محمّد جاد المولى بك، وآخران، المكتبة العصرية، صيدا. بيروت، ١٤١٢هـ. ١٩٩٢:. ٢١١/١ـ ٢١٢. وينظر: تأويل النص القرآني دراسة نحوية بلاغية (مرجع سابق):٢٧ـ ٢٨

رابعًا: قواعد النحو العربيّ

قال المؤلّف: "العرب تكلموا على السليقة كما يقال، وبالتالي فهم لم يتخذوا للمعاني العامة قوالب خاصة، وإنما الّذي فعل ذلك، أو على الأقل كرّسه، وجعل منه قاعدة كليّة، أي: منطقا للغة، هم النحاة. آية ذلك أنك تجد في كلام العرب ما يخرق هذه القواعد المنطقيّة، إذ تأتي صيغة (فاعل) بمعنى (مفعول)، و(فعيل) بمعنى (فاعل)"[1].

وهذا كلام فيه نظر، لما يأتي:

١ ـ هل من غاية لعالِم اللغة أهم من جمع اللغة من أفواه الناطقين بها، واستخلاص قواعدها لتصبح علما قابلا للانتقال من السابق إلى اللاحق، ومن أهلها إلى من يريد تعلم النطق بها من سواهم. نعم، هناك تأثُّر كبير بالمنطق في الكتب النحويّة، ينبغي إعادة النظر فيه، بتهذيبها، أو تأليف كتب حديثة تستغني عما لا يؤثّر في النطق باللغة؛ وهذه سنّة الحياة البشريّة، يهذّب اللاحق، ويطوِّر، ما بدأه السابق. إن قواعد اللغة العربيّة يجب أن تحافظ على لسان التنزيل الحكيم، الّذي هو أغلى ما تمتلكه الأمة.

٢ـ القواعد النحويّة حصيلة استقراء كلام العرب، ففي مشروع كبير تبنته كلية الآداب في جامعة القاهرة، وشاركتها فيه جامعة الإسكندرية، سعى لدراسة الشعر العربيّ في عصر الاحتجاج، دراسة نحويّة، ومعجميّة، وصرفيّة[2]، لم يجد من تصدى لدراسة ديوان جرير فيه سوى مسألة واحدة لم يذكرها النحويون، هي دخول لام الابتداء على الفعل الماضي المتصرّف في أربعة

(١) الكتاب: ٩٠ (مرجع سابق)

(٢) ينظر: الجملة الخبريّة في ديوان جرير، للدكتور عبد الجليل العاني، بغداد، (د ت).: ٥، مقدمة المؤلف

مواضع[١]. وقد أخبرني أستاذي الدكتور عبد الجليل العاني، وهو ممن انضووا في هذا المشروع، شفويًّا، أنّهم لم يجدوا شيئا ذا قيمة.

٣ ـ ماذا يصنع النحويّ إذا كانت العرب تستعمل (فعيل) مرّة بمعنى (فاعل)، ومرّة بمعنى (مفعول)، غير أن يسجّل ذلك بأمانة؟ وهل تخضع لغات العالم الأخرى إلى قواعد تطّرد على نحو مطلق لا استثناء فيه؟

خامسًا: تطوّر اللغة

واصل المؤلّف حملته على طريقة علماء اللغة عامّة، والخليل خاصّة، فقال: "الواقع أن طريقة الخليل لم تكن إلا مظهرًا واحدًا من مظاهر الصنعة, والاصطناع، التي تعرّضت لها اللغة العربيّة في عصر التدوين، والتي جعلت منها قوالب جامدة، ونهائيّة، لغة محصورة الكلمات، مضبوطة التحوّلات، لغة لا تاريخيّة، لأنّها لا تتجدّد بتجدّد الأحوال، ولا تتطوّر بتطوّر العصور"[٢].

وكان المؤلّف قد قال: " إن قاموس[٣] لسان العرب، وهو أضخم، وأغنى قاموس في اللغة العربيّة[٤]، لا ينقل إلينا على ضخامة حجمه، أسماء الأشياء الطبيعيّة، والصناعيّة، ولا المفاهيم النظريّة، وأنواع المصطلحات، التي عرفها عصره: القرن السابع، والثامن للهجرة، وفي القاهرة أحد المراكز الحضاريّة الرئيسيّة[٥] في التاريخ الإسلاميّ. ذلك أن الثمانين ألف مادّة لغويّة التي يضمّها

(١) ينظر: الجملة الخبرية في ديوان جرير:٣٩١ (مرجع سابق)

(٢) الكتاب:٨٣ (مرجع سابق)

(٣) الصواب: معجم

(٤) الصواب: وهو أضخم قاموس في اللغة العربيّة وأغناه

(٥) الصواب: الرئيسة

هذا القاموس[١] الضخم، الّذي نعتز به، لا تخرج عن حياة ذلك الأعرابي، الّذي كان بطل عصر التدوين. حياة خشونة البداوة بتعبير ابن خلدون... لغة القواميس[٢] تبقى دائما هي اللغة التي جُمعت، وصُنعت، من طرف الخليل، وزملائه. أمّا ما حدث بعد ذلك، بل وقبل ذلك، من تطوّر فهو دخيل على لغة العرب الأقحاح، ولذلك يجب تركه، وإهماله"[٣]. وفي كلام المؤلّف نظر طويل، أوجزه بالنقاط الآتية:

١. لم يصنع الخليل وزملاؤه لغة جامدة، وإنما سجلوا بدقّة عالية لغة حيّة متداولة مرنة، بها نزل الكتاب الإلهي، ونطقت السنة الشريفة، ورُويت أشعار العرب. فيها القياسي المطّرد، وفيها السماعيّ الكثير غير المطرد، وفيها الشاذ.

٢. هل للمعجمي في كل لغات العالم عمل غير حصر الكلمات، وضبط التحوّلات، وتبيانها.

٣. كيف أصبحت العربيّة لغة لا تاريخيّة، لا تتجدّد بتجدّد الأحوال، ولا تتطوّر بتطوّر العصور، ومن يقرأ الأدب العربيّ بعصوره المختلفة يلمس مظاهر التطوّر في الاستعمال اللغويّ؟ فلكلّ عصر مذاقه الخاصّ في عالم الشعر والأدب. وهل يستطيع أحد مهما أوتي من قدرة أن يوقف عجلة الحياة في كل ميادينها، ومنها اللغة؟ نعم، ارتباط العربيّة بكتاب إلهيّ، جعل لتطوّرها مسارًا خاصًّا تحافظ فيه على عمق ارتباطها بهذا الكتاب، وعلى قواعدها الصرفيّة، والنحويّة، ولكن هذا لا يعني لا تاريخيتها. لنضرب مثالًا واحدًا هو مادة (ب ث ث) في قوله تعالى: "قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ"[٤]، ولننظر كيف تطوّر المعنى في قولنا:

(١) الصواب: المعجم

(٢) الصواب: المعجمات

(٣) الكتاب:٧٩ (مرجع سابق)

(٤) يوسف:٨٦

البث الإذاعيّ. فالتطوّر اللغوي من سنن الحياة التي لا يمكن إيقافها، ولكن للعربيّة مسارها الخاصّ في التطوّر، تحافظ فيه على ارتباطها المصيريّ بكتاب الله تعالى؛ وفي ذلك قال الدكتور رمضان عبد التواب: "هذا هو السر الّذي يجعلنا لا نقيس العربيّة الفصحى، بما يحدث في اللغات الحيّة المعاصرة؛ فإن أقصى عمر هذه اللغات، في شكلها الحاضر، لا يتعدّى قرنين من الزمان، فهي دائمة التطوّر والتغيّر، وعرضة للتفاعل مع اللغات المجاورة، تأخذ وتعطي، لأنّها لم ترتبط في فترة من فترات حياتها[١] بكتاب مقدّس، كما هو الحال في العربيّة"[٢]

٤. معجم (تاج العروس)، للزبيدي "هو أعظم معجم عربيّ مطبوع، وفيه عشرون ومئة ألف مادّة"[٣].

٥. زاد معجم تاج العروس المؤلّف في القرن الثاني عشر الهجريّ على معجم لسان العرب الّذي جُمع من مصادر متعدّدة في القرن الثامن الهجري بأربعين ألف مادة لغويّة. فمن أين جاءت هذه المواد اللغويّة إذا كانت "لغة القواميس تبقى دائما هي اللغة التي جمعت وصنعت من طرف الخليل وزملائه" بحسب ما قال المؤلّف؟

ولا بدّ من التفريق بين اللحن، وهو:" مخالفة العربيّة الفصحى في الأصوات، أو في الصيغ، أو في تركيب الجملة، وحركات الإعراب، أو في دلالة اللفاظ"[٤]. والتطوّر اللغويّ؛ لأنّ"

(١) الصواب: مرحلة من مراحل حياتها

(٢) لتطوّر اللغوي مظاهره، وعلله، وقوانينه، للدكتور رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي القاهرة، دار الرفاعي ـ الرياض، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر (د ـ ت): ٨

(٣) تاج العروس: ٢٨/١، مقدمة المحقق (مرجع سابق)

(٤) لحن العامة والتطوّر اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب، دار المعارف بمصر ـ القاهرة، ط١.

اللغة كائن حي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته، ونموه، وتطوّره. وهي ظاهرة اجتماعيّة، تحيا في أحضانه، وتستمدّ كيانها منه، ومن عاداته، وتقاليده، وسلوك أفراده، وهي تتطوّر بتطوّر المجتمع، فترقى برقيه، وتنحطّ بانحطاطه"[(١)]، ومراعاة أن العربيّة تشرّفت بكتاب إلهيّ، لولاه، كما قال الدكتور رمضان عبد التواب: "لأمست العربيّة الفصحى لغة أثريّة، تشبه اللاتينيّة، أو قل: السنسكريتيّة، ولسادت اللهجات العربيّة المختلفة، وازدادت على مر الزمان بعدًا عن الأصل الّذي انسلخت منه"[(٢)].

٦. ما فعله ابن منظور في "اللسان" هو أنه جمع في كتاب، معجمات مؤلّفة سابقا: "الصحاح للجوهري، وحاشيته لابن بري، والتهذيب للأزهري، والمحكم لابن سيده، والجمهرة لابن دريد، والنهاية لابن الأثير"[(٣)]، فلا يؤخذ عليه أنه لم يتضمن "أسماء الأشياء الطبيعيّة، والصناعيّة، ولا المفاهيم النظريّة، وأنواع المصطلحات، التي عرفها عصره". وهل المطلوب من المعجم اللغويّ أن يكون دائرة معارف كبرى لعصره؟ مهمة المعجم تبيان معنى اللفظ، وقد يضطر إلى بعض التفاصيل، لكنّ ذلك لا يحوّله إلى دائرة معارف.

٧. بأيّة لغة كُتب الشعر العربيّ، وفيه: هاشميات الكميت، ورروميات أبي الفراس الحمدانيّ، وزهديّات أبي العتاهية، وخمريّات أبي نؤاس، وحجازيّات الشريف الرضيّ، والمنظومات الفلسفيّة والعلميّة، إذا كانت المادّة اللغويّة التي يضمّها (لسان العرب) " لا تخرج عن حياة ذلك الأعرابي، الّذي كان بطل عصر التدوين. حياة خشونة البداوة"؟

(١) لحن العامة والتطوّر اللغوي: ٣٠ (مرجع سابق)

(٢) لحن العامة والتطوّر اللغوي: ٣، المقدمة (مرجع سابق)

(٣) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، الناشر: أدب الحوزة، قم ، ١٤٠٥هـ:١/ ٦، مقدمة الطبعة الأولى.

المبحث الثاني: اللهجات العاميّة واللغة العربية الفصحى

يواصل المؤلّف حملته المسعورة بشأن جمود اللغة، فيقول:"لقد جمدت اللغة العربيّة بعد ما حُنِّطت، ولكن الحياة الاجتماعيّة لا تجمد ولا تحنط. لقد انتقمت لنفسها بفرض لهجات عربيّة عاميّة، كانت وما تزال أغنى كثيرا من اللغة الفصحى. ومن دون شك فإنها كانت كذلك في عصر التدوين نفسه. وهنا تكمن المفارقة الخطيرة، بل التمزق الرهيب، الّذي عانى، ويعاني، منه الإنسان العربيّ إلى اليوم: ذلك أنه من جهة، يتوفر على لغة للكتابة، والتفكير على درجة عالية من الرقي من حيث آلياتها الداخليّة، ولكن هذه اللغة لا تسعفه بالكلمات الضروريّة عندما يريد التعبير عن أشياء العالم المعاصر، عالم القرن العشرين، الّذي يعيش فيه، ويفرض نفسه عليه في كل مجال"[(١)].

وهذا كلام فيه نظر:

١ـ متى كانت اللهجات العربيّة العاميّة، "أغنى كثيرا من اللغة الفصحى"؟، وهل تمتلك اللهجات العاميّة عشر معشار اللغة الفصحى من المفردات، وأساليب التعبير؟ وقد وصفها المؤلّف بأنها

(١) الكتاب:٧٩ (مرجع سابق)

"لغة للكتابة، والتفكير على درجة عالية من الرقي من حيث آلياتها الداخليّة". أما إذا كان المؤلّف يريد أن العاميّة تمتلك أسماء المخترعات الجديدة، ووسائل الحياة المعاصرة، فذلك موضوع سيأتي الكلام فيه.

٢ـ متى وجد العربيّ لغته الفصحى " لا تسعفه بالكلمات الضروريّة عندما يريد التعبير عن أشياء العالم المعاصر"؟ وهل من شيء واحد استعصت على العربيّة تسميته؟ وإذا كان هناك من عجز، فسببه تخلّف العربيّ عن لغته الأم، وميراثه الديني والحضاري.

٣ـ هل عجزت العربيّة عن إسعاف شعراء القرن العشرين: الجواهري، والسياب، والبياتي، ونازك الملائكة، ومحمود درويش، ونزار القباني، وغيرهم، بما احتاجوا إليه منها؟ وحاجة الشاعر، التي يقتضيها الوزن، والقافية، والتفعيلة، أكبر بكثير من حاجة الناثر، فضلا عن الإنسان العادي.

ويعرض المؤلّف ما يمكن تسميته (محنة الإنسان العربيّ اللغويّة)، فيقول:"العاميّة رغم غناها التكنولوجي الحضاري، لا تتوفر على الأدوات والآليات الضروريّة للتفكير، فهي ليست لغة ثقافة وفكر، ومن هنا فقرها المدقع رغم غناها الظاهري. والنتيجة هي أن المثقف العربيّ سواء كان طالبا، أو أستاذا يعيش عالمين كلاهما قاصر: عالم لغته العاميّة، وعالم اللغة الفصحى. أما الأمي العربيّ ـ وهو الّذي يشكل الأغلبيّة ـ فهو مسجون في عاميته، يتعامل مع أشياء لا يسميها، وإذا فعل سماها بأسماء أجنبيّة مع بعض التكسير الضروري، الّذي لا شك في أنه يترك أثره العميق في عقله، في بنيته الفكريّة. أما ذلك العربيّ الّذي يعرف لغة أجنبيّة واحدة أو أكثر فهو يعيش

ثلاثة عوالم مختلفة: إنه يملك ثلاثة تصورات للعالم: يفكر بلغة أجنبيّة، ويكتب بلغة عربيّة فصحى، ويتحدث في البيت والشارع، بل وفي الجامعة باللغة العاميّة"[(١)].

يلحظ أن المؤلّف قد قسّم المجتمع العربيّ على ثلاثة أقسام: مثقف لا يجيد التحدث بلغة غير العربيّة الفصحى، وأمّي لا يجيد سوى العاميّة، ومثقف يجيد الكلام بلغة أخرى أو أكثر.

وفي كلامه نظر:

١ـ حقا إن العاميّة ليست لغة ثقافة وفكر، ولكن غناها الظاهري الّذي أثبته المؤلّف، موضوع نقاش، فقدرتها على التعبير لا تتجاوز الأمور الحسيّة، والسطحيّة من الحياة، فإذا أراد الإنسان العربيّ الإفصاح عن مكنونات نفسه اضطر إلى الفصحى، هذا ما أواجهه شخصيا.

٢ـ على الرغم من الصلة القويّة بين المعاني والألفاظ إلا أن المسافة بينهما تبقى قائمة مهما صغرت، ومن مصاديق ذلك، أن الفرد من البشر غالبا ما يستمتع بقراءة الأدب المعبّر عن همومه الذاتيّة، فالعاشق، مثلا، يطربه شعر الغزل، والثاكل يطربها شعر الرثاء، وتفسير هذا أنه وجد من يعبر عن مكبوتات نفسه، التي هي معاني لا يحسن هو التعبير عنها، أو على الأقل لا يحسن التعبير عنها كما يعبر عنها الأديب. لذا كان في قول المؤلّف: " المثقف العربيّ سواء كان طالبا، أو أستاذا، يعيش عالمين كلاهما قاصر: عالم لغته العاميّة، وعالم اللغة الفصحى"، نظر، إذ وصف عالم الفصحى بالقصور، فمتى كان فضاء العربيّة الساحر المترامي قاصرا؟ إن القصور الّذي يتوهمه المؤلّف هو في تخلف الإنسان العربيّ المعاصر حضاريا، لا في لغة القرآن الكريم.

(١) الكتاب: ٨٠ (مرجع سابق)

٣ـ سجن الأمي العربيّ في عاميته، سببها أمّيّته؛ فلنضع الخطط اللازمة، ولنشرع في تنفيذها لاستنقاذه منها، وعندئذ سنجتث المشكلة من جذورها.

٤ ـ بالغ المؤلّف في توصيف كل لغة بعالَم، إذ قال: "أما ذلك العربيّ الّذي يعرف لغة أجنبيّة واحدة أو أكثر، فهو يعيش ثلاثة عوالم مختلفة: إنه يملك ثلاثة تصورات للعالم: يفكر بلغة أجنبيّة، ويكتب بلغة عربيّة فصحى، ويتحدث في البيت والشارع، بل وفي الجامعة باللغة العاميّة"، فالمشتركات بين عقول البشر، وأساليبهم التعبيريّة كثيرة؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى: تأسيسا على ما قاله المؤلّف، فإن من يعرف لغة أجنبيّة واحدة أو أكثر، يعيش ثلاثة عوالم مختلفة أو أكثر، لا ثلاثة عوالم فقط، إذا كان لكل لغة عالمها الخاص. وهذا يستتبع سؤالا: هل من يعرف خمس لغات يعيش خمسة عوالم مختلفة؟ وعليه يعدّ اكتساب لغة غير اللغة الأم أمرا سيئا، ولا أظن أنَّ أحدا يقول بذلك.

وقال المؤلّف: "فعلًا كان اللحن قد تفشى، وكما يقول ابن الأثير: " فما انقضى زمان التابعين على إحسانهم (منتصف القرن الثاني) إلا واللسان قد استحال أعجميًا أو كاد، فلا ترى المستقلّ به والمحافظ عليه إلا الآحاد"[(١)]، ولكن الهروب من اللحن إلى لغة " الأعراب الأقحاح " قد أدى الى ترك الحريّة لـ "اللحن" يصنع لغة التعامل، لغة الحياة، اللغة اليوميّة، في حين أدى "تحصين" العربيّة "الفصحى" إلى تثبيتها في مرحلة حضاريّة بدائيّة فقيرة، مرحلة "ما قبل تاريخ " العرب" [(٢)].

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين بن الأثير(ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع – قم ، ط ٤، ١٣٦٤ ش:٥/١، وفيه: فما انقضى زمانهم. حققنا النص الذي نقله المؤلف بالواسطة.

(٢) الكتاب: ٨٨ (مرجع سابق)

وقال: " والنتيجة هي إن اللغة العربيّة الفصحى، لغة المعاجم والآداب والشعر، وبكلمة واحدة لغة الثقافة، ظلت وما تزال تنقل إلى أهلها عالمًا يزداد بعدًا عن عالمهم، عالمًا بدويًا يعيشونه في أذهانهم، بل في خيالهم، ووجدانهم، عالم يتناقض مع العالم الحضاري – التكنولوجي الّذي يعيشونه، والّذي يزداد غنى وتعقيدًا. فهل نبالغ إذا جنحنا إلى القول بأن الأعرابي هو فعلًا صانع " العالم " العربيّ، العالم الّذي يعيشه العرب على مستوى الكلمة، والعبارة، والتصور والخيال، بل على مستوى العقل، والقيم، والوجدان. وإن هذا العالم ناقص فقير ضحل جاف، حسيّ – طبيعي، لا تاريخي، يعكس " ما قبل تاريخ " العرب: العصر الجاهلي، عصر ما قبل الفتح، وتأسيس الدولة"[(١)].

وهذا كلام فيه نظر لما يأتي:

١. إنه دعوى صريحة لاعتماد العاميّة في التدوين.

٢. التطوّر في الاستعمال اللغوي أمر لا يستطيع أحد إيقافه، وإنما وضعت له خطوط حمراء، لا يتجاوزها، بحكم اختصاص العربيّة بالارتباط بكتاب إلهي.

٣. مرحلة التدوين لم تكن مرحلة حضاريّة بدائيّة فقيرة، فـ "التّراث اللُّغويّ يعدّ سمة فارقة لحضارة قوم يمكن أن نطلق عليها (حضارة النّصّ)"[(٢)]. ألم تستوعب العربيّة كتاب الله (تعالى) بكل امتداداته الزمانيّة والمعرفيّة؟!.

(١) الكتاب :٨٨-٨٩ (مرجع سابق)

(٢) اللّسانيات والدّلالة ٢٦ . وينظر: سورة آل عمران دراسة لغوية تحليلية (مرجع سابق): ١٨٦

٤. أكرر ما ذكرته من قبل مسائلا: بأيّة لغة ترجمت كتب الفلسفة، والمنطق، والأدب الفارسي؛ وأُلفت كتب جديدة في العلوم المختلفة في العصر العباسي؟ وبأيّة لغة تترجم اليوم كتب العلوم والثقافات المختلفة إذا كانت اللغة العربيّة كما زعم المؤلّف لغة عالم ناقص فقير ضحل جاف، حسيّ – طبيعي، لا تاريخي، يعكس " ما قبل تاريخ " العرب: العصر الجاهلي، عصر ما قبل الفتح، وتأسيس الدولة؟

المبحث الثالث: علماء اللغة العربيّة والقرآن الكريم

ينبري المؤلّف قائلا: "وقد يتساءل المرء أمام كل هذا، قائلًا:إذا كان المقصود من جمع اللغة، وتقعيدها، هو حماية القرآن من اللحن، فلماذا لم يعتمد اللغويون القرآن نفسه أساسا وحيدًا لعملهم، مع أنه باعتراف الجميع أفصح، وأبين؟"(١).

وفي هذا الكلام كلام طويل:

١. قال الدكتور تمام حسان: " لم تجد إحدى اللغات عناية ترتكز على(٢) الدين، كما وجدت العربيّة هذه العناية"(٣)؛ حتى بلغ الأمر أنه "مرّ أبو عمرو بن العلاء بالبصرة، فإذا أغلال مطروحة مكتوب عليها: لأبو فلان، فقال أبو عمرو: يا رب، يلحنون ويرزقون"(٤).. وفضلا عن الدافع الديني كانت دوافع أخرى: قوميّة وراءها تعصب العربيّ

(١) الكتاب: ٨٥ (مرجع سابق)

(٢) الصواب: في

(٣) الفكر اللغوي الجديد: ٩، المقدمة

(٤) مختصر تاريخ دمشق:١٨/١٧٨

للغته، واجتماعيّة إذ يسهّل تعلم العربيّة انخراط غير العربيّ في المجتمع، وهذا التعلم لا يمكن أن يتم إلا بعد وجود العلم، ونفعيّة معاشيّة، من دون أن يعم ذلك الجميع، حتى قيل: "أكلت الدنيا بعلم الخليل، وكتبه، وهو في خُصّ لا يُشعَر به"(١).

٢. حقا "لم يعتمد اللغويون القرآن نفسه أساسا وحيدًا لعملهم"، بل لم يكن القرآن الكريم المصدر الأوّل لاستقراء المادة اللغويّة، وهذا ما يدمي القلب، فكُتُبُ اللغة تعجّ بشواهد شعريّة غير موثوق بها، كان يمكن الاستغناء عنها بالشواهد القرآنيّة، حتى قال الرازي: "إذا جوّزنا إثبات اللغة بشعر مجهول، منقول عن قائل مجهول، فلأنْ يجوز إثباتها بالقرآن العظيم،... أولى،... وكثيرا أرى النّحويّين يتحيّرون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التّعجّب منهم، فإنّهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلا على صحّته، فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلًا على صحّته كان أولى."(٢).

والأدهى من ذلك أنّهم يؤوِّلون النصّ القرآنيّ ليوافق قواعدهم، وكأنّ قواعدهم هي الأصل، وعلى كتاب الله أن يوافقها.

هذا غيض من فيض مما يمكن أن يقال في خلل منهجي كبير في معاملة علماء العربيّة للقرآن الكريم. ولنعد إلى الدكتور الجابري.

(١) معجم الأدباء:١١/ ٧٤

(٢) التّفسير الكبير: ٥٥/٩، وينظر: تأويل النص القرآني دراسة نحوية بلاغية (مرجع سابق):١٩٠

يقول المؤلّف: "إذا كان المنطلق هو الرغبة في حفظ القرآن من تسرّب اللحن اليه، فإن الأمر كان يتطلب تحصينه من خارجه. وإذا أضفنا الى[١] هذا أن الحاجة كانت تتزايد إلى فهم كلماته وعباراته، وأن اعتبار[٢] هذه الحاجة كان من موجهات عمل اللغويين، أدركنا كيف أن المطلوب كان، في واقع الأمر، هو إيجاد لغة ماورائيّة تكون إطارًا مرجعيًا له على مستوى معاني الكلمات والتعابير المجازيّة. وليس هناك من لغة تستطيع القيام بتلك المهمة غير لغة العصر الجاهلي التي كانت ولا تزال متداولة لدى القبائل المنعزلة، تمامًا مثلما كان يحتفظ بها الشعر الجاهلي نفسه. ذلك هو المنطق الداخلي الّذي كان يحكم علاقة جامعي اللغة، وواضعي النحو مع النص[٣] القرآني"[٤].

وفي بعض هذا الكلام نظر، فقد تقدم القول منا في وجود دوافع أخرى غير الدافع الديني وراء الجهد اللغوي العربيّ، وفي وجود خلل منهجي في معاملة النص القرآني. يقول المؤلّف: "إن اللغة العربيّة لم يكن من الممكن جمعها الا من الكلام المنطوق، لا المكتوب. والقرآن كان مكتوبًا ومقروءًا معًا، فلتبرير نوع ما من القراءة له، كان لا بد من الاعتماد على لغةّ مسموعة. ولغة الأعراب هنا هي اللغة المطلوبة التي وحدها تفي بالغرض"[٥].

(١) الصواب: زدنا على

(٢) الصواب: عد

(٣) الصواب: بالنص

(٤) الكتاب: ٨٥ (مرجع سابق)

(٥) الكتاب: ٨٥ (مرجع سابق)

أقول: إنّ الاعتماد على لغةٍ مسموعة، أمر تفرضه الظروف الواقعيّة، لا خيار يختاره جامع اللغة؛ فإن المعروف الشائع أن لا مصادر مكتوبة يمكن أن تكون مصدرا للغة، فلا يبقى إلا السماع ممن صفت لغتهم.

ويواصل المؤلّف كلامه قائلا: "لقد أشرنا قبل قليل إلى انصراف جامعي اللغة، وواضعي النحو، عن اعتماد النص القرآني كمرجع أساسي[١]، ولجوئهم إلى الأعراب "المتوحشين" الموغلين في القفر؛ ومهما يكن الدافع الّذي جعلهم يسلكون هذا المسلك، فإن النتيجة التي حصلت هي أن اللغة العربيّة التي جمعوها من الأعراب، جاءت فقيرة جدًا بالمقارنة مع النص القرآني. ذلك أنه بينما تبنى النص القرآني كلمات غير عربيّة فعرّبها، اعتبرت اللغة المعجميّة الفصحى هذه الكلمات من الدخيل؛ فتعاملت معها بوصفها كذلك. إن اعتماد جامعي اللغة "خشونة البداوة " كمقياس[٢]، جعل العربيّة تفقد كثيرًا من الكلمات، والمفاهيم الجديدة، الواردة في القرآن والحديث، والتي كانت رائجة في مجتمع مكة والمدينة، خاصة الكلمات الحضاريّة، فكانت اللغة العربيّة، لغة المعاجم والنحو، أقل اتساعًا، وأقل مرونة، من لغة القرآن؛ وبالتالي اقل تحضرًا منه. وهذا ما جعل القرآن يبقى دائمًا أوسع وأخطب، وجعل اللغة العربيّة التي رسمها عصر التدوين تبقى عاجزة عن استيعابه كامل الاستيعاب. ولقد كان طبيعيًا أن ينعكس هذا على فهم القرآن من طرف العرب أنفسهم، فكثيرًا من الكلمات الواردة في هذا " الكتاب المبين" لا نجد لها معاني مضبوطة في هذه اللغة، التي جمعت من الأعراب، فظلت وما زالت محل خلاف متواصل،

(١) الصواب: مرجعًا أساسيّا

(٢) الصواب: مقياسا

وسيبقى الأمر كذلك، إذ كيف يمكن الفصل فيه واللغة الماورائيّة عاجزة عن استيفاء الحديث عنه؟"[١]

وهذا كلام فيه نظر:

١. من يقرأ كلام المؤلّف ترتسم أمام عينيه لغات متعددة: لغة القرآن الكريم، ولغة من أسماهم: الأعراب "المتوحشين" الموغلين في القفر، ولغة المعاجم والنحو؛ والحقيقة أننا حين نقف اليوم أمام معجماتنا اللغويّة لا نجد هذا الانفصال، فهناك معجم عربيّ واحد فيه الألفاظ القرآنيّة والبدويّة والحضريّة، فيه ثروة لغويّة عريضة اسمها اللغة العربيّة.

٢. في الأسماء غير العربيّة التي وردت في القرآن الكريم أقوال[٢]:

أنها أسماء عربيّة قديمة، ولا وجود لغير العربيّ في القرآن الكريم.

أنها أسماء عرّبها الإسلام، لم تعرف قبل ذلك؛ ولكنها مشتقة من كلام العرب.

أنها أسماء قرآنيّة لم يعرفها العرب ولا غيرهم.

أنها كلمات أعجميّة، كـ (اليم، والطور).

"قال أبو عبيد: "الصواب عندي، والله أعلم، أن هذه الأحرف أصولها أعجميّة، إلا أنها سقطت إلى العرب، فعربتها بألسنتها، وحولتها من ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت

(١) الكتاب: ٨٧ (مرجع سابق)

(٢) كتاب الزينة: ١٢٨

عربيّة"[١]. وهذا هو الراجح لدي، لقوله تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عربيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[٢]؛ ولو كان فيه ألفاظ غير عربيّة لعاب أعداؤه عليه ذلك.

٣. . لم تكن الخشونة مطلوبة من أجل الخشونة، ولكن بوصفها دليلا على عدم الاحتكاك بالأعاجم، الّذي شاع في ذلك الزمان، وبذلك تُضمن سلامة اللغة.

٤. المفاهيم الجديدة الواردة في القرآن والحديث الشريف، لم تفقدها العربيّة، فهي موجودة في كتب المفسّرين، وشرّاح الحديث الشريف؛ ومؤلفوها هم من أصحاب الباع الطويل في اللغة.

٥. المعاني اللغويّة للألفاظ القرآنيّة نجدها في معجمات اللغة مضبوطة، وفي كتب التفسير، والخلاف غالبا في دلالاتها السياقيّة. وما حصل من خلاف في الدلالة المعجميّة هو أمر مألوف في النصوص البليغة.

المبحث الرابع: ظاهرتان في اللغة العربيّة

أولا: الاشتقاق

قال المؤلّف: "هذا الفقر الحضاري في اللغة العربيّة، يقابله فيها غنى بدوي، يتمثل خاصة في كثرة المترادفات، كثرة راجعة في جزء منها إلى الاشتقاق الصناعي على طريقة الخليل، وفي جزء آخر إلى "السماع "من قبائل مختلفة. فمن جهة كان لا بد أن[٣] يؤدي الاشقاق الصناعي إلى التضخم في الكلمات التي هي من أصل واحد، والتي تبقى كلها في دائرة "المستعمل" ما دامت

(١) كتاب الزينة: ١٣٩

(٢) يوسف : ٢

(٣) الصواب: من أن

واحدة منها مستعملة، اذ تؤخذ حينئذ كأصل يُشتق منه، على الرغم من أنه قد يكون ما يشتق منها من الكلمات غير مسموع، وغير مستعمل. وهكذا تصبح لغة المعجم، لغة " الأصل والمشتق "، أوسع كثيرًا من الواقع."[١].

وقال: "الاشتقاق الصناعي الّذي يكرس الانطلاق من اللفظ إلى المعنى (إذ من ضرب نشتق بَضَرَ ونبحث لها عن معنى...الخ)، والرواية من الأعراب (مع ما رافقها من الوضع، والاتجار في الكلام)، والأخذ من قبائل متعددة، مما يجعل للشيء الواحد أسماء مختلفة.. كل ذلك جعل اللغة العربيّة تتوفر فعلًا على "فائض" من الألفاظ بالنسبة للمعنى"، ولكن فقط بالنسبة لعالم دون عالم، عالم البدو دون عالم الحضر"[٢].

وقال: "الألفاظ التي تنطلق منها عمليّة الاشتقاق تؤخذ في صيغة الفعل، أو في ما معناه (= المصدر وهو حدث، أي: فعل، بدون زمان) الشيء الّذي يكرس الانطلاق كذلك من الفعل إلى المشتقات، والأسماء المشتقة هذه لا تخضع في عمليّة الاشتقاق للسماع، بل لقد تم وضع أوزان لها هي في الواقع قوالب منطقيّة، هي بالنسبة للنحو والنحاة بمثابة[٣] المقولات بالنسبة للمنطق والمناطقة"[٤].

(١) الكتاب : ٨٨ (مرجع سابق)

(٢) الكتاب: ٨٨ (مرجع سابق)

(٣) الصواب: بمنزلة

(٤) الكتاب :٨٩ (مرجع سابق)

وهذا كلام فيه نظر:

١. بمراجعة قصيرة لمعجم (العين) نرى كيف أورد الخليل الشواهد الكثيرة على استعمال المفردات. فلا صحة لوجود كلمات من أصل واحد، تبقى كلها في دائرة "المستعمل" ما دامت واحدة منها مستعملة.

٢. المشتقات بعضها قياسيّة، كاسم الفاعل، واسم المفعول؛ فكيف يكون بناء اسم الفاعل الدال على من نُسب إليه الفعل غير مسموع؟، وكذلك اسم المفعول الدال على من وقع عليه الفعل.

وبعض المشتقات سماعيّة، ومنها الزيادة في الأفعال، فيقال (تعلّم) بناء (تفعّل) من الثلاثي (علِم)، ولا يقال (تجهّل) من الثلاثي (جهِل)، لورود السماع في الأوّل، وعدمه في الثاني.

وفي حين ثبتت قياسيّة مصادر الأفعال غير الثلاثيّة[(١)]، تعدَّدت أبنية المصادر من الأفعال الثّلاثيّة، فانقسم علماء اللغة على قسمين:

أحدهما: يقول بقياسيّتها، **والآخر:** يقول بسماعيّتها، وإن كانت لها حالات تغلب فيها.[(٢)] ومشاهدة هذا التّعدّد الواسع في أبنية هذه المصادر، يرجّح القول بسماعيّتها، وإنْ غلبت في حالات مُعيَّنة.

(١) يُنظر: شرح شّافية ابن الحاجب: ١/ ١٦٣.

(٢) ينظر: سورة آل عمران دراسة لغوية تحليلية، لإياد محمد علي الأرناؤوطي، المركز الوطني لعلوم القرآن، بغداد، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨، ص ٩٤ - ٩٥

والمبالغة التي "تفيد التّنصيص على التّكثير في حدث اسم الفاعل كمًّا أو كيفًا، لأنّ اسم الفاعل محتمل للقلّة والكثرة"[(١)]، أشار علماء اللغة إلى أشهر أبنيتها، نحو: (فَعَّال)، و(فَعُول)، و(مِفْعال)، و(فَعِيل)[(٢)]. وهي سماعيّة لعدم اطّرادها في الأفعال جميعًا، فقد وردت أفعال كثيرة لم ترد لها أبنية مبالغة. وقد سُمع (كذّاب) ولم يُسمع (صدّاق)، وسُمع (كريم) ولم يُسمع (كرّام).فأين قول المؤلّف بوضع أوزان للمشتقات هي في الواقع قوالب منطقيّة"؟

٣. قول المؤلّف: " وهكذا تصبح لغة المعجم، لغة "الأصل والمشتق"، أوسع كثيرًا من الواقع" يحتمل وجهين: أحدهما: أن تكون لغة المعجم أوسع من الواقع الّذي جمعت منه، وهذا غير صحيح إطلاقا، لأنّ جمّاع اللغة سجلوا الواقع اللغوي الفصيح، وقد زادت مواد المعجم مع تقادم الزمان كما أوضحنا سابقا. والآخر: أن تكون لغة المعجم أوسع من الواقع اللغوي العربيّ المعاصر، وهذا ما لا شك فيه، فالكلام في كل لغات العالم هو المقدار المتحقق من المقدار الأوسع الممكن التحقيق. أو قل: هو ما يختاره المتكلم من مفردات لغته.

٤. الوضع، والاتجار في الكلام، التي رافقت الرواية من الأعراب، ظاهرة موجودة فقد حكى أبو عبيدة أنّه أتى هو وابن نوح العطارديّ داود بن متمّم بن نويرة، وقد قدم البصرة، فسألاه عن شعر أبيه متمّم، فجعل يزيد في الأشعار "فإذا كلام دون كلام متمّم، والوقائع الّتي

(٣) تصريف الأسماء، لمحمّد الطّنطاويّ، الطّبعة الخامسة، مطبعة وادي الملوك ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م: ٨٧.

(٤) يُنظر: كتاب سيبويه، لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، الطّبعة الثّانية، القاهرة، ١٤٠٢ هـ -١٩٨٢ م.: ١/ ١١٠، والمقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت (د . ت).: ٢/ ١١٣، وشرح المفصّل، لموفق الدّين يعيش بن عليّ بن يعيش النّحويّ، دار صادر، د . ت: ٦/ ٧٠.

شهدها، فلما توالى ذلك، علمنا أنّه يفتعله"[١]؛ لكنّها محدودة لا تستحق إطالة الوقوف عندها، ونسبة من الخطأ ترافق كل عمل بشري مهما بُذلت جهود في إتقانه وضبطه. وينبغي أن لا ننسى جهد الرحلة إلى البادية؛ فقد روي أنّ الكسائيّ قد أُعجب بما لدى أستاذه الخليل من علم جمّ في العربيّة، فسأله: "من أين أخذت علمك هذا؟، فأجابه: من بوادي الحجاز، ونجد، وتهامة"[٢]، فحاكى الكسائيّ أستاذه الخليل في أخذ العربيّة من أفواه النّاطقين بها سماعًا إذ "خرج إلى الحجاز فأقام مدّة في البادية، حتّى حصل من ذلك ما ذكر أنّه أفنى عليه خمس عشرة قنينة من الحبر غير ما حفظه"[٣].

ثانيًا: الترادف

قال المؤلّف:" ومن جهة أخرى، كان لا بد أن[٤] يؤدي أخذ اللغة من قبائل مختلفة – وليس من قبيلة واحدة كقبيلة قريش مثلًا – إلى ظاهرة كثرة المترادفات التي تشكو منها لغة الضاد، والتي ترجع في جزء كبير منها لا إلى وجود خلافات دقيقة في المعنى كما يقول بذلك بعض "المختصين"، بل إلى اختلاف المصادر التي أخذت منها الكلمة: الشيء الواحد قد تسميه قبيلة

(١) طبقات فحول الشّعراء، محمّد بن سلاّم الجمحيّ (ت٢٣١هـ)، إعداد: اللجنة الجامعيّة لنشر التّراث العربيّ، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ١٩٦٨م: ١٩٣ـ، وينظر: ١٩٤ ، وينظر: تأويل النص القرآني دراسة نحوية بلاغية (مرجع سابق): ٢٧

(١) إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، لجمال الدّين أبي الحسن علي بن يوسف القفطيّ، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٣٦٩هـ. ١٩٥٠م.: ٢٥٨/٢. وينظر: تأويل النص القرآني دراسة نحوية بلاغية (مرجع سابق): ٢٧

(٢) معجم الأدباء، لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار الفكر- بيروت، ط ٣، ١٤٠٠ هـ .: ١٦٨/١٣. وينظر: تأويل النص القرآني دراسة نحوية بلاغية (مرجع سابق): ٢٧.

(٣) (الصواب: من أن

باسم، وتسميه قبيلة أخرى باسم آخر، وثالثة باسم ثالث، وبما أن اللغة أخذت من قبائل متعددة فلا بد أن تتعدد الأسماء والمسمى واحد بعينه"[١] وهذا كلام فيه نظر:

١. ظاهرة الترادف موجودة في كل لغات العالم، وما تمتاز به العربيّة هو كثرة الترادف، التي تتيح للمبدع مساحة واسعة من الاختيارات، ولا سيما أن الشعر العربيّ: العمودي، وشعر التفعيلة يعتمد نظاما موسيقيا صارما يستلزم مساحة أوسع من الألفاظ المعبرة عن المعنى الواحد، وهذا من مظاهر ثراء اللغة من جانب، وإن كان يسبب صعوبة في تعلمها من جانب آخر.

٢. الترادف في كل لغات العالم، ومنها العربيّة، يعود إلى أسباب منها وجود اختلافات دقيقة بين الألفاظ في الدلالة، أو في الأصوات المتقاربة، تتلاشى بمرور الزمن. ومنها في العربيّة اختلاف القبائل التي أخذت منها المفردات؛ لا أنفي ذلك، ولكن لا أقول: إنه السبب الأوّل للظاهرة.

٣. اللفظان المترادفان يصح أن يحل كل منهما محل الآخر في كل السياقات، وهذا نادر جدا، وقد أُلّف كتاب في العربيّة في ذلك، ومما جاء فيه: " قولك: جاء فلان كلام تام، لا يحتاج إلى صلة. وقولك: أتى فلان يقتضي مجيئه بشيء، ولهذا يقال: جاء فلان نفسه، ولا يقال: أتى فلان نفسه؛ ثم كثر ذلك حتى استُعمل أحد اللفظين في موضع الآخر"[٢].

(٤) الكتاب: ٨٨ (مرجع سابق)

(١) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكريّ، ضبطه وحقّقه: حسام الدين القدسيّ، دار الباز للنشر والتوزيع، مكّة المكرّمة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠١هـ. ١٩٨١م: ١٥٢

" الجلوس: هو الانتقال من سفل إلى علو. والقعود: هو الانتقال من علو إلى أسفل. فعلى الأوّل يقال لمن هو نائم: اجلس، وعلى الثاني يقال[١] لمن هو قائم: اقعد"[٢].

وفي استعمالاتنا المعاصرة نجد مصاديق ذلك، ومنه: نقول: قرأت الكتاب ووقفت على أخطاء لغويّة، ولا نقول: فقمت على أخطاء لغويّة.

خاتمة: اتّضح من هذه الجولة السريعة الآتي:

أولا: أولى المؤلّف اللغة أهميّة بالغة، لأنه يراها صانعة العقل، ولما كانت اللغة العربية قد جُمعت من الأعراب، كان الأعرابي هو صانع العقل العربيّ في اعتقاده.

ثانيًا: أثبت المؤلّف إعجابه بجهود جمع اللغة العربية، إلا أنه بالغ في الوقوف عند المآخذ التي تؤخذ على كل جهد بشري، ولا سيما أنه قد تم قبل ما يزيد على الاثني عشر قرنا.

ثالثًا: لم يراع المؤلّف في أطروحته خصوصيّة ارتباط العربية بكتاب إلهي لابدّ من المحافظة على الصلة به.

رابعًا: لم تكن قراءة المؤلّف للجهد اللغوي العربي قراءة عميقة، فوقع في أوهام سجّلناها عليه في متن البحث. ولابدّ من السؤال: ماذا يريد المؤلف بالضبط؟ أيريدنا أن نستبدل لغة القرآن والتراث بلغة أجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية، أم يريد اتخاذ اللهجات المحلية العربية لغات للكتابة والأدب؟ خياران أهون ما يقال فيهما: إنهما مدمرّان.

المصادر والمراجع:

(١) في المطبوع لا توجد (يقال)، ويبدو أنه سقط طباعي

(٢) الفروق اللغوية: ١٦٤(مرجع سابق)

أولا–المصادر والمراجع العربية:

- **القرآن الكريم**
- ابن قنبر، أبي بشر عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، الطّبعة الثّانية، القاهرة، ١٤٠٢ هـ –١٩٨٢ م.
- ابن منظور الإفريقي المصري، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، الناشر: أدب الحوزة، قم — إيران، ١٤٠٥ هـ .
- ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت ٧١١هـ)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق— سوريا، ط١، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٤م
- الأرناؤوطي، إياد محمد علي، تأويل النص القرآني دراسة نحوية بلاغية ، أطروحة دكتوراه، في اللغة العربية، مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد، ٢٠٠٨م: ٢٧
- الأرناؤوطي، إياد محمد علي، سورة آل عمران (دراسة لغوية تحليلية)، دار الصنوبر للطباعة، الطبعة الأولى، بغداد، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
- الأسترآباذيّ، رضي الدّين محمّد بن الحسن، شرح الكافية في النّحو، النّحويّ (ت ٦٨٦هـ)، دار الكتب العلميّة (مصوّرة عن طبعة الاستانة) ١٣١٠هـ.

- الأنصاري، أبي زيد سعيد بن أوس (ت ٢١٥هـ)، النوادر في اللغة، تحقيق ودراسة: الدّكتور محمّد عبد القادر أحمد، دار الشروق، ط ١، ١٤٠١هـ.١٩٨١م.
- ابن الأثير، مجد الدين (ت ٦٠٦ هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع –قم– ايران، ط ٤، ١٣٦٤ ش
- الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، دار الطليعة ـ بيروت، ط١٠ ، ٢٠٠٩م.
- الجمحيّ، محمّد بن سلاّم (ت٢٣١هـ)، طبقات فحول الشّعراء، إعداد: اللجنة الجامعيّة لنشر التّراث العربيّ، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ١٩٦٨م.
- جومسكي، نعوم، البنى النّحويّة، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٨٧.
- حسان، تمام، الفكر اللغوي الجديد، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
- حمّادي، محمّد ضاري، الحديث النّبويّ الشّريف وأثره في الدّراسات اللغويّة والنّحويّة، اللجنة الوطنيّة للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجريّ، الجمهوريّة العراقيّة، ط١، ١٩٨٢هـ.
- الحمدانيّ، خديجة زبار عنيزان، المصادر والمشتقّات في معجم لسان العرب، أطروحة دكتوراه إلى مجلس كلية التّربية (ابن رشد)/ جامعة بغداد.

- الحموي، ياقوت (ت ٦٢٦ هـ)، معجم الأدباء، دار الفكر- بيروت، ط ٣، ١٤٠٠هـ.
- الرّازيّ، محمّد بن أبي بكر (ت٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، الطبعة الثالثة ، بلا محقّق ولا مطبعة، د.ت .
- الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تاج العروس، تحقيق : علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ١٤١٤ - ١٩٩٤م.
- السّيوطيّ، جلال الدّين (ت ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وآدابها، شرح وتعليق: محمّد جاد المولى بك، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمّد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت، ١٤١٢هـ . ١٩٩٢.
- السّيوطيّ، جلال الدّين، الاقتراح في علم أصول النّحو، تحقيق: د. أحمد محمّد قاسم، ط ١، مطبعة السّعادة، القاهرة، ١٣٧٦هـ . ١٩٧٦م.
- الطّنطاويّ، محمّد، تصريف الأسماء ، الطّبعة الخامسة، مطبعة وادي الملوك ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م
- العاني، عبد الجليل، الجملة الخبريّة في ديوان جرير، بغداد، (د ت).
- عبد التواب، رمضان، التطوّر اللغوي: مظاهره، وعلله، وقوانينه، مكتبة الخانجي القاهرة، دار الرفاعي . الرياض، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر (د ت).

- عبد التواب، رمضان، لحن العامة والتطوّر اللغوي، دار المعارف بمصر ـ القاهرة، ط١، ١٩٦٧.
- العسكريّ، أبي هلال، الفروق اللغويّة، ضبطه وحقّقه: حسام الدين القدسيّ، دار الباز للنشر والتوزيع، مكّة المكرمّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠١هـ. ١٩٨١م
- عيد، محمد، الرواية والاستشهاد باللغة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٢م.
- غريب، عبد الكريم، المعجم في أعلام التربية والعلوم الإنسانية، منشورات: عالم التربية، الرباط ـ المغرب، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
- الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد (١٠٠ – ١٧٥ ه)، كتاب العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة الطبعة: الثانية، قم، ١٤٠٩ ه .
- القفطيّ، جمال الدّين أبي الحسن علي بن يوسف ، إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٣٦٩هـ. ١٩٥٠م.
- المبرد ، أبي العباس محمد بن يزيد (ت ١٨٥هـ)، لمقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت (د . ت).
- محمد بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، دار المعارف بمصر، ١٩٦٧.
- مركز الإنماء الحضاريّ، اللّسانيّات والدّلالة (الكلمة)، حلب، الطّبعة الأولى، ١٩٩٦م.

- النّحويّ، موفق الدّين يعيش بن عليّ بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصّل، دار صادر، د.ت
- نصار، حسين، المعجم العربي: نشأته وتطوّره، دار مصر للطباعة، (د. ت)

ثانيا–المصادر والمراجع الأجنبية:

References:

- The Holy Quran.
- Abdul Tawwab, Ramadan (N.D.), *Al-Tatawwur al-Lughawi: Mazahiruhu, wa ilaluhu, wa qawaninuhu*, (in Arabic), (Cairo: al-Khanji Library, Riyadh: Dar al-Rifai, Al-Madani Printing House, Saudi Institution in Egypt).
- Abdul Tawwab, Ramadan, (1967), *Lahn al-Amma wa al-Tatawwur al-Lughawi*, (in Arabic),(Cairo: Dar al-Aarifa, 1st edition).
- Al-Ani, Abdul Jalil (N.D.), *Al-Jumla al-khabariya fi Diwan Jarir*, (in Arabic), (Baghdad).
- Al- Arnaouti, Iyad Mohammed (2008), *Al Imran Sura: Analytical Linguistic Study*, (in Arabic), (Baghdad: Dar Al-Sunober for Printing, 1st edition).
- Al- Arnaouti, Iyad Mohammed (2008), *Tawil al-Nass al-Qurani: A Rhetorical and Grammatical Study*, Unpublished PhD Dissertation in Arabic College of Arts, (in Arabic), (Baghdad University).
- Al- Istirabadi, Raḍi al-Din bin al-Hasan-D.686H- (1310 AH), *Sharḥ al-kafiya fi al-naḥw*, (in Arabic), (Dar al-kutub al-ilmiya) (a copy of Istana edition).
- Al-Ansari, Abu Zaid Said bin Aws (d. 215H) (1981), *Al-nawadir fi al-lugha*, Edited and Studied: Moḥammed Abdul Qadir Aḥmed, (in Arabic), (Dar al-Shuruq, 1st edition).

- Al-Askari, Abu Hilal (1981), *Al-furuq al-lughawiyya,* Ed. Ḥusam al-Din al-Qudsi, Makkah: Dar al-Baz for Publication and Distribution, (in Arabic), (Beirut: Dār al-Kutub Al-ilmiyya).
- Al-Farahidi, Abu Abdul Rahman al-Khalil bin Aḥmed (100-175 AH) (1409 AH), *Kitab al-Ayn,* Ed. Mehdi al-Makhzumi, & Ibrahim al-Samarai, (in Arabic), (Qum: Dar al-Hijra Institution, 2nd edition).
- Al-Hamadani, Khadija Zabbar (N.D.), *Al-masadir wal mushtaqat fi mujam lisan al-arab,* unpublished PhD thesis, (in Arabic), (College of Education (Ibn Rushd)- University of Baghdad).
- Al-Ḥamawi, Yaqut (d626 AH) (1400), *Mujam al-udaba*, (in Arabic), (Beirut: Dar al-Fikr).
- Al-Jabiri, Muhammad Abid (2009), Takwin al-aql al-arabi, Beirut: Markaz dirasat al-wihda al-arabiya, (in Arabic), (Dar al-Talia, 10th edition).
- Al-Jamḥi, Moḥammed bin Sallam -d.231H- (1968), *Ṭabaqat fuhul al-shuara,* by: The University Committee for Publishing the Arabic Heriatge, (in Arabic), (Beirut: Dar al-nahda al-arabiya).
- Al-lisaniyyat wal dilala (al-kalima) (1996), (in Arabic), (Aleppo: Markaz al-Inma al-Haḍari, 1st edition).

- Al-Mubarrad, Abu al-Abbas Bin Yazid (d185H) (N.D.), *Al-muqtaḍib,* ed. Mohammed Abdul Khaliq Adima, (in Arabic), (Beirut: Alam al-Kutub).
- Al-Nahawi, Muwaffaq al-Din Yaish bin Ali bin Yaish -D.643H- (N.D.), *Sharh al-mufassal*, (in Arabic), (Dār al-Sawi).
- Al-Qifti, Jamal al-Din Abu al-Hasan Ali bin Yusif (1950), *'Inbah al-ruwat 'ala 'anbah al-nuhat,* ed. Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, (in Arabic), (Cairo: Dar al-Kutub al-Masriyya Printing House).
- Al-Razi, Muhammad bin Abi Bakr (D. 606 AH), *Al-Tafsir al-Kabir*, 3rd edition, (in Arabic), No Data about Publication or Editing.
- Al-Suyuti, Jalal Al-Din (1976), *al-Iqtirah fi Ilm usul al-nahw*, Ed. Ahmed Muhammad Qasim, 1st ed., (in Arabic), (Cairo: Al-Saada Printing House).

- Al-Suyuti, Jalal al-Din (d.911H) (1992), *Al-Mizhir fi ulum al-lugha wa 'adabiha*, , Commented by: Muhammad Jad al-Mawla Bek et al, (in Arabic), (Beirut: Al-Maktaba al-sriya, Sidon). I
- Al-Tantawi, Muhammad (1955), *Tasrif al-Asma*, (in Arabic), (Wadi al-Muluk Printing House, 5th edition).
- Al-Zubaydi -D.1205 AH- (1994), *Taj al-arus*, ed. Ali Shiri, (in Arabic), (Beirut: Dar al-Fikir for Printing, Publication and Distribution).
- Chomsky, Naumi (1987), *al-Buna al-nahwiyya*, Trans: Yuil Yusif Aziz, Review: Majid Al-Mashta, (in Arabic), (Baghdad: Dar al-Shuun al-thaqafiyya al-ama).
- Eid, Muhammad (1972), *Al-riwaya wal istishhad bil lugha*, (in Arabic), (Cairo: alam al-Kutub).
- Ghareeb, Abdul Karim (2007), *Al-mujam fi alam al-tarbiya wal ulum al-insaniya*, (in Arabic), (Ribat- Morocco: alam al-tarbiya, 1st edition).
- Ḥammadi, Moḥammed Dari (1982), *Al-ḥadith al-nabawi al-sharif wa atharuhu fi al-dirasat al-lughawiyya wal nahawiyya*, National Committee for Celebrating the Aurora of the 5th Hijri Century, (in Arabic), (Republic of Iraq, 1st edition).
- Hassan, Tammam (2011), *Al-fikr al-lughawi al-jadid*, (in Arabic), (Cairo: alam al-kutub, 1st edition)..
- Ibn al-Athir, Majd al-Dîn (d. 606H) (1364- Persian Year), *Al-nihaya fi gharib al-ḥadith wal athar,* Ed. Tahir Al-Zawi & Mahmud al-Tanahi, (in Arabic), (Qum- Iran: Ismailian Institution for Printing, Publication and Distribution, 4th edition).

- Ibn Manzour Al- Ruwayfii al-Ifriqi, Muhammad Jamal al-Din (d.711 AH) (1984), *Mukhtasar Tarikh Dimashq*, Ed. Ruhiyya al-Nahas et al, (in Arabic), (Damascus: Dar al-Fikr for Printing, Distribution and Publication, 1st edition).

- Ibn Manzur al-Ifriqi al-Masri, Abu al-Fadl Jamal al-Din (1405 AH), *Lisan al-arab*, (in Arabic), (Qum- Iran: Adab al-Hawza).

- Ibn Qanbar, Abu Bishr ʿamr bin uthman (1982), *Kitab Sibawayh*, ed. Abdul Salam Muhammad Harun, (in Arabic), (Cairo: Al-Khanji library, 2nd edition).

- Muhammad Bishr, Kamal (1976), *Dirasat fi ilm al-lugha*, Part Two, (in Arabic), (Egypt: Dar al-maarif).
- Nassar, Hussein (N.D.), *Al-mujam al-arabi: nashaatuhu wa tatawuruhu,* (in Arabic), *(*Dar Misr for Printing, No Publication Data).